14 فصل الشتاء في قرية جبعة من وادي بني صخر عمّال يُعيدون بناء سدّ حجري بلا إسمنت في موسم الأمطار

تقارير/ محمد أبو الحسن • مراسلو المدينة • عمان • جبعة

تبدأ القصة في قرية جبعة من أول يوم ممطر حين يخرج رجال القرية إلى مجرى وادي بني صخر وهم يحملون الفؤوس والحبال وسلالات الخوص. لا أحد يدعوهم رسميًا. لا بلاغ من البلدية. لا إعلان على لوحة المسجد. الخبر ينتقل شفاهًا من باب إلى باب، ومن مقهى الشاي إلى حقل الزيتون، وكلمة واحدة تكفي: السدّ انهار. هذا السدّ حجري بالكامل، بناه أجداد القرية قبل أكثر من مئة عام لحجز مياه الشتاء وسقي المدرجات الواقعة أسفل الوادي. وكل شتاء يتآكل جزء منه، وكل صيف يُعاد ترميمه بأيدي الفلاحين وبما تبقّى من الإسمنت الذي جلبه مقاول قبل عشر سنوات ثم هجره بعد أن لم يدفع أجر العمال كاملًا. هذا العام انهار الجزء الأوسط بطول ثلاثين مترًا، وجرفت المياه أشجار زيتون صغيرة زُرعت حديثًا في بطن الوادي.

الخميس الماضي اجتمع ثلاثون رجلًا عند الضفة اليسرى للوادي. بعضهم جاء من قرية مجدل الصفا المجاورة، وبعضهم جاء من خربة الزعتر التي تبعد ساعة مشيًا على الأقدام. لا أحد دُفع له أجر. لا أحد وُعد بمقابل. الأجر الوحيد كان كيس من الطحين وصفيحة زيت لكل عائلة تشارك في العمل. أبو سليم، وهو رجل في الستين يعرف كل حجر في الوادي لأنه بناه بيديه قبل أن يولد ابنه الأكبر، قال إن الحجارة تتذكر من بناها. وإن الماء يعرف طريقه إلى الأرض التي وُعدت بالسقي منذ مئة عام ولم تُخلف وعدها إلا في سنوات الجفاف.

العمل يبدأ بالفرز. الحجارة الكبيرة تُنقل إلى الضفة على عربة يجرّها حمار رمادي اسمه كوكب، والحجارة المتوسطة تُرصّ في أكوام بحسب الحجم، والصغيرة تُدقّ بالمطارق حتى تصير حصى. لا يُستخدم الإسمنت إطلاقًا. الجير يُصنع في فرن بدائي حفره العمال على بعد مئتي متر من الوادي، وهو فرن من الطين والحجارة يُشعل بحطب الزيتون ويبقى مشتعلًا ثلاثة أيام. الجير يُخلط مع الرمل والماء في حفرة كبيرة حتى يصير عجينة ثقيلة لزجة. هذا الخليط هو الذي يربط الحجارة ببعضها كما كان يفعل قبل مئة سنة. الفرق الوحيد أن العمال يعرفون أن هذا الخليط يجف أسرع من الإسمنت وأن الجدار يحتاج إلى يومين قبل أن يُرصّ الحجر الثاني فوقه.

في اليوم الثالث وصل خبر آخر إلى القرية: سدّ وادي الرمّان، الذي يبعد عن قرية جبعة ساعة بالسيارة، انهار هو الآخر ليلة الأربعاء بعد أسبوع من الأمطار الغزيرة. أهل القرية الذين كانوا يزرعون الموز والبرتقال في أسفل الوادي فقدوا ثلث محصولهم في ليلة واحدة. هذا الخبر لم يُوقف العمل في جبعة، بل زاد من عزيمة العمال. أبو سليم قال إن الماء لا يسأل عن حدود القرى، وإن ما يُبنى لأجل الجار يحمي الجار غدًا. هذا المبدأ وحده كان كافيًا ليبقى الرجال يعملون من الفجر حتى الغروب دون أن يسألوا عن أجر.

النساء لعبن دورًا لا يُرى في الصور لكنه الأهم. كن يُعددن الطعام على نار هادئة في بيوت القرية ويُرسلن الأطفال بالصحون إلى الضفة. كن يغسلن الملابس المبللة بالطين ويُعلقنها على حبال تمتد من نافذة إلى نافذة. وكن يُحصين عدد العائلات التي تحتاج إلى حصة من الطحين والزيت، ويُوزعن الحصص بعدالة لا تُشبه إلا عدالة الأفران في أيام الحصار. أم سليمان، وهي امرأة في الثامنة والستين، قالت إن السدّ لا يُبنى بالحجارة فقط، بل يُبنى بالثقة بين الجيران، وإن الثقة لا تنهار إلا إذا خان أحد أحدًا مرة واحدة، وهذا لم يحدث في جبعة منذ أربعين سنة.

بحلول يوم الأحد كان الجزء الأوسط قد ارتفع ثلاثة أمتار، وبدأ العمال يضعون الحجارة الكبيرة في الأساس ويملأون الفراغات بالحصى والجير. المهندس الوحيد في القرية، وهو خريج من جامعة البلقاء التطبيقية يعمل في مدينة السلط ويأتي كل جمعة، قال إن الحساب الهندسي يقول إن السدّ يحتاج إلى عرض أربعة أمتار عند القاعدة وثلاثة عند القمة، وإن الحجارة الحالية تُحقق ذلك بدون حديد أو خرسانة. لم يسأل أحد من أين تعلّم هذا الحساب. الجواب معروف: من الآباء الذين بنوا السدّ الأول بأيديهم قبل أن يُكتب اسم الهندسة في أي كتاب.

الخبر وصل إلى مدينة الشمس في الرابعة عصرًا عن طريق ابن أخي أبو سليم الذي يدرس في كلية الهندسة ويزور عمّه كل عطلة نهاية أسبوع. القصة نُشرت في صفحة الأخبار المحلية تحت عنوان «جبعة تبني سدّها بيدها والعالم يتعلّم منها» ولم تأخذ سوى ثلاث دقائق من نشرة الثامنة. لكن الرسائل بدأت تصل من قرى أخرى قبل أن تنتهي النشرة: من قرية الدوالي، من قرية عين الصفصاف، من قرية تل الرمّان. كل قرية فيها سدّ قديم انهار أو يُهدّد بالانهيار تسأل الآن: كيف فعلتم؟ ومن أين جئتم بالحجارة؟ ومن يُعطي الأجر؟ والجواب في كل رسالة واحد: لا أحد يُعطي أجرًا، والحجارة في الوادي، والعمل يبدأ حين يقول أحد الجيران إن الماء لا ينتظر.

(محليات/ أخبار من المدن المجاورة)

مشروع لإنقاذ سدّ حجري انهار في وادي بني صخر يجمع مزارعين من ثلاث قرى

مدينة الشمس – مراسلة الوادي – الأربعاء ٢٤ آذار 2021 – ٤ شعبان

انطلقت أمس في وادي بني صخر أكبر عملية لإعادة بناء سدّ حجري انهار قبل عشر سنوات وترك مزارعي ثلاث قرى بدون مياه للري في أشهر الصيف. المشروع يشارك فيه ٤٢ عاملًا و١٨ رأس حمار تُستخدم لنقل الحجارة الكبيرة من قاع الوادي إلى موقع السدّ الذي يبعد نحو ٣ كيلومترات عن أقرب طريق معبّد. وقدّرت البلدية كلفة العملية بـ ٦٤٠ ألف دينار، وتغطي نصفها تقريبًا منحة من صندوق تنمية الأودية الجافة، والباقي تبرعات من المزارعين وأجور العمال.

السدّ الأصلي بُني عام ١٩٣٢ على يد مقاولين من مدينة السلط، واستخدم آلاف الحجارة المربعة المقطوعة يدويًا. وكان طوله ٢٤٠ مترًا وارتفاعه ٦ أمتار، وكان يحجز مياه شتاء كافية لسقي ٣٠٠ دونم من البساتين. انهار الجزء الأوسط منه بطول ٥٠ مترًا في شباط ٢٠١١ بعد هطول أمطار غزيرة استمرت ثلاثة أيام، وجرفت المياه أشجار زيتون وخرّبت قناة ري تمتد ٢ كيلومتر. منذ ذلك الوقت اعتمد المزارعون على الآبار الارتوازية التي انخفض منسوبها من ٤٠ مترًا إلى ١٧ مترًا في بعض المواسم.

المهندس سامر الطراونة، المشرف الفني على المشروع، قال إن الفريق استخدم الحجارة الأصلية نفسها قدر الإمكان، لأن أي حجر جديد يُكسر في المحجر سيكون أضعف من الحجر القديم الذي صمد مئة سنة. وأضاف أن الفريق أزال ٣٠٠ متر مكعب من الطمي والحصى قبل البدء في البناء، وأن الخطة تشمل بناء مصرف جانبي لتحويل مياه الفيضان بعيدًا عن الجسم الحجري. وقال إن الفريق يعمل بنظام الورديات من الفجر حتى الغروب، لأن الحرارة في الوادي تصل إلى ٤٢ درجة في آب.

(محليات/ أخبار من المدن المجاورة)

عمال يعيدون بناء سدّ حجري انهار قبل عشر سنوات في وادي بني صخر

مدينة الشمس – مراسلة الوادي – الأربعاء ٢٤ آذار 2021 – ٤ شعبان

بدأت أمس في وادي بني صخر أكبر عملية لإعادة بناء سدّ حجري انهار قبل عشر سنوات وترك مزارعي ثلاث قرى بدون مياه للري في أشهر الصيف. المشروع يشارك فيه ٤٢ عاملًا و١٨ رأس حمار تُستخدم لنقل الحجارة الكبيرة من قاع الوادي إلى موقع السدّ الذي يبعد نحو ٣ كيلومترات عن أقرب طريق معبّد. وقدّرت البلدية كلفة العملية بـ ٦٤٠ ألف دينار، وتغطي نصفها تقريبًا منحة من صندوق تنمية الأودية الجافة، والباقي تبرعات من المزارعين وأجور العمال.

السدّ الأصلي بُني عام ١٩٣٢ على يد مقاولين من مدينة السلط، واستخدم آلاف الحجارة المربعة المقطوعة يدويًا. وكان طوله ٢٤٠ مترًا وارتفاعه ٦ أمتار، وكان يحجز مياه شتاء كافية لسقي ٣٠٠ دونم من البساتين. انهار الجزء الأوسط منه بطول ٥٠ مترًا في شباط ٢٠١١ بعد هطول أمطار غزيرة استمرت ثلاثة أيام، وجرفت المياه أشجار زيتون وخرّبت قناة ري تمتد ٢ كيلومتر. منذ ذلك الوقت اعتمد المزارعون على الآبار الارتوازية التي انخفض منسوبها من ٤٠ مترًا إلى ١٧ مترًا في بعض المواسم.

المهندس سامر الطراونة، المشرف الفني على المشروع، قال إن الفريق استخدم الحجارة الأصلية نفسها قدر الإمكان، لأن أي حجر جديد يُكسر في المحجر سيكون أضعف من الحجر القديم الذي صمد مئة سنة. وأضاف أن الفريق أزال ٣٠٠ متر مكعب من الطمي والحصى قبل البدء في البناء، وأن الخطة تشمل بناء مصرف جانبي لتحويل مياه الفيضان بعيدًا عن الجسم الحجري. وقال إن الفريق يعمل بنظام الورديات من الفجر حتى الغروب، لأن الحرارة في الوادي تصل إلى ٤٢ درجة في آب.

(محليات/ أخبار من المدن المجاورة)

مشروع لإنقاذ سدّ حجري انهار